ISSN: 2706-6495

التعدّديّة اللّسانيّة وانعكاساتها على تشكيل الهويّات السنغاليّة

Wuuteeglàkkyiak seen injeexital ci lóofóonugdoomisenegaaleyi[1].

إعداد الباحث/ الشيخ مود بدر جوب

طالب باحث في معهد الدوحة للدراسات العليا، الدوحة، قطر

Email: Cdi001@dohainstitute.edu.qa

الملخّص بالعربيّة:

تهدف الدراسة إلى استظهار العلاقة القائمة بين اللغات ومتداوليها، لتحقيق نتائج تتعلق بالتنوع اللغويّ في السنغال، مع بيان الاستيعاب الحاصل إما من اللغات الأجنبية على حساب اللغات الوطنية/ المحلية، أو على حساب اللغات الأجنبية؛ كل على حسب المنطقة. كما ستبين أن سكان الحضر مثل دكار تهيمن على هوياتهم اللغوية استخدام الألفاظ الفرنسية، تعبيرا عن المستوى الثقافيّ أو الإبراز عن مكانة تحضّرهم وحداثة لغتهم، بينما يُهيمن على أهل الأرياف/ القرى النائية طابعُ التسلخ عن اللغات الأجنبيّة كما يقوم تواصلُهم بشكل ملفت على اللغات المحليّة، سواء بالولوف أو بغيره من اللغات الوطنيّة. كذلك تهدف الدراسة أيضا إلى كشف الصراع الهوياتيّ ما بين اللغة الفرنسيّة واللغة العربيّة، وأن الصراع بينهما ساهم بشكل مباشر على تشكيل هويات على الأفراد؛ إداريّا واجتماعيّا ودينيّا وفكريّا، وحتى في المجال سياسيّ.

الكلمات المفتاحيّة: التعددية اللغوية، التنوع اللغويّ، الاستيعاب اللغويّ، الفكرانية، الهوية، السياسة اللغوية، التخطيط اللغويّ، صراع الهويات، اللغات المحلية، اللغات الأجنبية، اللسانيات الاجتماعية، فرض اللغة.

[1] العنوان باللغة السنغالية (وُلُوفْ)/ Wolof

ISSN: 2706-6495

Linguistic pluralism and its implications for the formation of Senegalese identities.

***

Cheikh Modou Badar DIOP
Doha institute for graduate studies
Qatar – Doha
Cdi001@dohainstiute.edu.qa

Abstract:

The study aims to highlight the relationship between languages and their users, in order to achieve results related to the linguistic diversity in Senegal, while demonstrating the assimilation obtained either from foreign languages at the expense of national / local languages, or at the expense of foreign languages. Depending on the region. It will also show that urban population such as Dakar dominate their linguistic identities by using French vocabulary, as an expression of the cultural level or highlighting the status of their civilization and the modernity of their language, while the people of remote countryside/villages are dominated by the character of dissociation from foreign languages and their communication is noticeably based on local languages, whether In Wolof or other national languages. The study also aims to uncover the identity conflict between the French language and the Arabic language, and that the conflict between them contributed directly to the formation of identities on individuals. Administratively, socially, religiously and intellectually, and even in the political sphere.

Key words: Multilingualism, linguistic diversity, linguistic comprehension, ideology, identity, linguistic politics, linguistic planning, identity clashes, local languages, foreign languages, sociolinguistics, imposing language.

ISSN: 2706-6495

المقدّمة:

إن حضارة الولوف هي أكثر من مجرد الإهمال، بل أصبحت في طيّ النسيان، بما أننا توقفنا عن تعليم السود في السنغال بلغتهم الخاصة. فمهما يقوله المرء عن ذلك، يجب تعليم السود بلغتهم الأم، وبدون ذلك لن تكون هناك مؤسساتٌ دائمة ولا حضارة. فعلا، ما فائدة الكلمات الفرنسية أو الإنجليزية التي يكررها شاب أفريقيّ عندما لا يستطيع أن يفهم ما تعنيه هذه الكلمات في لغته؟ لذلك هو في النهاية يشعر بالإحباط... من السهل جعل الشاب الفرنسيّ يفهم أن courir (جرى) وdormir (نام) أفعال محايدة، لكن الشاب الأسود لن يفهمها إلا إذا كان يعرف ما تعنيه هذه الكلمات نفسها بلغته. ومن ثم أستنتج أنه من الضروريّ للغاية أن نبدأ تعليم الأفارقة بلغتهم الطبيعية [2].

إن هوية السنغاليّ قبل الاستعمار تختلف عن هويته ما بعد الاستقلال. يتفق الجميع أن اللغة الفرنسية لغة أجنبية وصلت إلينا بحمولاتها الثقافية والفكرية والفكرانية من خلال الرجل الأبيض، فرضها على السنغاليين بمنطق القوة وآلة البندقية. استعان في ذلك من خلال التعليم من الدرجة الأولى، فأنشأوا أوّل مدرسة فرنسية في سين لوي[3] وجعل الدراسة إجبارية، قائمةً على اللغة الفرنسيّة المحضة لدرجة أن فُصل، بموسوم من القيادة الفرنسية، المكلَّفُ في تنفيذ خطة أعمال ذلك المشروع التغريبيّ، والموصول عن العمل هو جون دارد (jean dard)، بذريعة عدم كفاءة منهجه في إعمال تلك الخطط الفرنسية. وفي الحقيقة، فُصل الرجل لأنه، بدلا من تعليم السنغاليين باللغة الفرنسية، بدأ في تعليمهم لغتهم الأم (وُلُوفُ)، مستعينا بها لتعليمهم الفرنسيّة، ما أثار استياء السلطات الاستعمارية. غير أنه ظلّ متمسكا برأيه حيث قال: "أستنتج أنه من الضروريّ للغاية أن نبدأ تعليم الأفارقة بلغتهم الطبيعية... إن حضارة الولوف هي أكثر من مجرد الإهمال، بل أصبحت في طيّ النسيان، بما أننا توقفنا عن تعليم السود في السنغال بلغتهم الخاصة" [4].

لا يعني هذا أن السنغاليين يتكلمون لغة واحدة، بل إنهم شعب متعدد اللغات/ اللسان، وإن كانت لغة الولوف، لغةِ أغلبية السكان، مهيمنةً على باقي اللغات الوطنية. فهناك السِيرِيرْ، وبَمْبَرَا، والبُولَارْ، ومَانْدِيغْ، وجُولَا، وسُونِنْكِ، تكون هذه العناصر مجموعة اللغات الرسمية في الدستور السنغالي الحاليّ. أشير هنا إلى أن أغلب هذه الأعراق، إضافة إلى لغتهم الأم، يتكلمون لغة عرق الولوف بالتوازي مع لغاتهم، ما شكّل فيهم تعدديا لغويا وليس فقط ثنائيَ اللغة، وبالتالي، فهمْ، مع ما تحمل كل لغة من الأفكار والثقافة، شعبٌ متعدد الهويات والثقافات. وهذه التعددية اللغوية انعكست على جميع حيثيات حياتهم الثقافية والفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية، لدرجة أنك يمكن أن تُحدّد انتماء/هوية الشخص الدينية أو الطرقية (الانتماء الصوفيّ) انطلاقا من لغته الأمّ/ الثانية، كذلك يمكن تحديد انتماءه الحزبي في بعض الأحيان. فعلى سبيل المثال؛ يهيمن فيمن يتكلمون لغة الولوف أنه ينتمي إلى الطريقة المريدية، وفيمن يتكلم لغة البولار أنه من الطريقة التيجانية، والجولا أنه مسيحيّ، والسيرير أنه مسلم، ويشترك كل هؤلاء في اللغات الأجنبية مثل الفرنسية، كما أن المزيد والمزيد من أعضاء هذه المجموعات العرقية الأخرى يعتبرون أنفسهم ولوفا أيضا بصفتها لغة مشتركة.

---

[2] (Dard, J. (1826). *Grammaire Wolofe, ou méthode pour étudier la langue des noirs qui habitent les royaumes de Bourba-jolof, de Walo, de Damel, de Bour-sine, de Saloume, de Baole, en Sénégambie*. Paris: imprimerie royal. Avant-propos.

[3] مدينة في السنغال كانت العاصمة الأولى للسنغال، كما كانت مقاطعة من دولة فرنسا أيما الاستعمار، وهناك فتحوا المدرسة الأولى 1856.

[4] (Ibid., p. Avant-propos.

ISSN: 2706-6495

مشكلة الدراسة:

من الإشكالات الحضارية أن السنغاليين يتحدثون باللغات المحلية على نطاق واسع، لكنها مستبعدة من نظام التعليم ومن التدابير الرسمية للدولة، على الرغم من وجود لغات محلية أخرى يقرب إلى عشرين، ومع ذلك لا نكاد نجد التعددية اللغوية في المدرسة وهذا انعكاس على الهوية السنغالية، وخاصة عند المدن الكبيرة مثل داكار وباقي الأقاليم، في حين أن الفرنسية، اللغةَ الرسمية للإدارة والتعليم والأنظمة القضائية، لا يفهمها سوى حوالي 20٪ من السكان، فإن الولوف هي الأداة الرئيسية التي يمارسها ويفهمها أكثر من 70٪ من السكان[5]، هل هذا يعني أن التعددية في السنغال متحيزة؛ تتجلى في الحياة اليومية وتغيب عن موطن تكوين الهويات (المدرسة) وصناعة الأفكار، وبالتالي، تعطي انطباعا ثقافيا آخر؟

من ناحية، يتم تنظيم التعددية اللغوية في داكار حول ثلاثة أقطاب موحدة وهي الولوف، اللغة السائدة للبيئة، والفرنسية واللغات العرقية الأصلية للمهاجرين. في Ziguinchor، تعد التعددية اللغوية أكثر تنوعًا، بحيث يمكن أن تكون الأسرة الحضرية السنغالية متعددة اللغات بشكل بارز ويتم تكوين الأفراد في إطار هذه التعددية اللغوية، الأمر الذي يطرح مسألة أهمية اللغة الأم أو فئة اللغة الأصلية.

هناك مشكلة أخرى، حيث إن الإعلام السنغاليّ ساهم في نشر هذه التعددية اللغوية، على مستوى الشعب من خلال بثّ مسلسلات أجنبية وبلغة أجنبية أغلبها فرنسية، ولا يوفّر للمشاهدين ترجمة/الحاشية السينمائية (subtitling) باللغات المحلية، بالإضافة إلى الإعلام الرقمي والصحافة المكتوبة، وكلها تكتب بالفرنسية، ما أدى إلى أن انعكست بمعالم هوياتية على الشخصية السنغالية، أثرت في تكوين ثقافةٍ ورؤيةٍ تعدديّة لديه.

ولا يمكن في أي حالة من الأحوال تفكيك السنغاليين من اللغة العربية بمكوناتها الدينية والثقافية والحضارية والهوية الإسلامية. رسخت اللغوية العربية لدى السنغاليين أنماطا من المعالم الهوياتية تشكلت من خلال وصول الإسلام واللغة العربية إلى المنطقة عبر بوابة التجار المغاربة.

إن السنغال من البلدان الإسلامية التي يدرس أبناؤُها باللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية. لقد كانت العربية لغتهم الثقافية والتعليمية والدينية وحتى في المعاملات الإدارية والمراسلات الرسمية قبل الاستعمار. فكان اكتساب اللغة العربية مقترِنا بدخول الفرد في الإسلام، حيث يبدأ بحفظ القرآن الكريم وتعلم الفرائض العَينية، لأنه يتعلم تلك الأمور بالعربية الفصيحة "إنهم يشبهون العرب، ومعظمُهم يتكلمون العربية لأنهم يتعلمونها في مدارسهم"[6].

هكذا أصبحت اللغة العربية قبل مجيء الاستعمار، ومع انتشار المدارس القرآنية ومعاهد التعليم، لغةَ أهل السنغال وجزءا كبيرا في هويتهم الدينية والإدارية، حتى إذا كانوا يكتبون باللغة الوُلُوفيَّة، فهم يكتبون بالأحرف العربية عموما، إضافة إلى تسرب مفردات ومصطلحات دينية كثيرة من المعجم العربي إلى اللغة الوُلُوفِيَّة، إلا أن فترة الاستعمار كانت مرحلة انحطاط وهبوط سهم اللغة العربية في السنغال،

---

[5](Martine Dreyfus et Caroline Juillard. (2004). *le plurilinguisme au Sénégal: Langue et identités en devenir*. Paris: kathala. P. 8.

[6]الودغيري، عبد العالي. (2011). **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي**. المغرب، الرباط: جامعة محمد الخامس-أكدال. ص 101.

ISSN: 2706-6495

نتيجة العوامل المضادة لكل ما يمت بصلة إلى الإسلام بشكل عام، بما في ذلك التعليم العربي الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن الواحد والعشرين.

يجدر الإشارة إلى أن الحرب الثقافية من الغرب لم تمنع سكان السنغال من تعلم اللغة العربية وثقافتها الدينية، لكن ضمُور مستوى حضورها وتأثيرها شهدا انخفاضا حادّا بفعل الغزو الثقافيّ الفرنسيّ.

أسئلة الدراسة:

للوصول إلى نتائج تبيّن وجود تفاعلات وتأثيرات بين اللغات الأجنبية/ المحلية على هوية سكان السنغال، طرحنا مجموعة من الأسئلة المركّبة وذلك لمحاولة تشخيص الإشكالية وإعادة تركيبها من خلال المقاربات المنهجية:

1. هل هناك انعكاسات هوياتية انطلاقا من تعدد اللغات على الهوية السنغاليين، سواء على مستوى من يعيش في الحضر أو القرى، وكيف تتجلى هذه الانعكاسات؟
2. هل هي إيجابية أو سلبية على هوياتهم الدينية والوطنية والفكرية والعرقية والسلوكية، وهل سببت التعددية اللغوية صراعَ الهويات في السنغال؟
3. كيف تنعكس جدلية الفرنسية والعربية على هوية المواطن السنغاليّ على حساب اللغات المحلية؟

مناهج تحليل المعطيات:

تدخل الدراسة ضمن مجال حقل اللسانيات، لذلك ستعتمد على نظرية اللسانيات الاجتماعية، وعلى المقاربات اللغوية الاجتماعية، لكن هذا لا يمنع من أن نستعين بباقي المناهج، بحكم إيماننا على القاعدة الإبستمولوجية القائلة: إن المناهج تتكامل فيما بينها؛ لذلك سنجد استعانة بالمنهج التاريخي، وبالتحليل الوصفي لمضمون المعطيات.

بنية الدراسة:

قسمنا البحث إلى مقدمة وهي التي بين أيدينا، وإلى محاور وخاتمة.

المحاور:

1 . اللغات السنغالية وتشكيل الهوية:

2 . اللغة العربية مصدر للهوية:

3 . الاستعمار وفرض اللغة الفرنسية.

4 . التعددية اللغوية وعلاقتها بالهويات.

1) الهوية الدينية وعلاقتها باللغة.
2) صراع الهويات بين اللغات الأجنبية واللغات الوطنية.

الخاتمة

ISSN: 2706-6495

حدود الدراسة:

تحيط الدراسة مجال وصول اللغات الأجنبية إلى أرض السنغال؛ وهذا يعني أنها تؤطِّر منذ دخول اللغة العربية إلى اليوم، بما في ذلك وصول الفرنسية مع الاستعمار الفرنسي للسنغال، إضافة إلى الأماكن التي تهمين فيها لغةٌ وطنية معينة على أخرى، أو على اللغات الأجنبية والعكس كذلك.

أهمية الدراسة:

تُحدَّد الأهمية من خلال الأهداف التي ستحققها، والنتائج الدراسية التي ستخرج بها، غير أنه يمكن القول إنها تطبيق عمليّ جديد على مستوى اللغة في السنغال وعلاقتها بتشكيل الهوية لدى الأشخاص، إلى جانب اكتشاف الأفكار التي تُمرّر عبر منافذ اللغة، كذلك من الأهمية إثباتها على وجود الهويات اللغوية التي تَعْكِس على باقي الهويات الأخرى.

المحور الأول:

اللغات السنغاليّة وتشكيل الهويّة:

بدأت الجهود الأولى في الدراسات الجادة للغات السنغالية في أعقاب الحروب النابليونية. فإن الإدارة الاستعمارية الجديدة التي أرسلتها حكومة الاستعادة من قبل Bourbon إلى السنغال تضمّ بعض المعارضين الملتزمين لتجارة الرقيق، من بينهم اثنان من المؤلفين الأوائل للأعمال اللغويّة على مستوى اللّغات السنغاليّة، جُونْ دارد وجاك فَرانْسُوا روجر roser. أُرسل دارد، وهو مدرّس رياضيات ذو خلفية متواضعة ولكنّه مُجهَّز بشهادة البكالوريوس في العلوم وأحدث النظريات التعليميّة، إلى سانت لويس (مدينة في السنغال/العاصمة الأولى) لإنشاء مدرسة للأفارقة[7] ولأجل الأشخاص مختلطِي الأعراق، الذين يعيشون داخل المستعمَرة الصغيرة.

عُيّن روجر مديرا لمحطة زراعية ملكية؛ بعد ذلك (1822-1826) أصبح حاكمًا للمستعمرة، وكرّس نفسه لأجنّدة الاستعمار السلميّة لمساعدة المنطقة على التعافي من آثار تجارة الرقيق من خلال تعزيز التنمية الزراعية والعمل التعاقديّ. في أثناء وجوده في السنغال، تعلّم كلٌّ من دارد وروجر لغةَ الوُلُوف، ونشر كلّ منهما أعمالًا عن اللغة بعد عودتهما إلى فرنسا (دارد 1825، 1826؛ روجر 1828، 1829)[8]. قبل عام 1830، تم توثيق عدد قليل من اللّغات الإفريقيّة الأخرى كما كانت في وُلوف. رأى كلّ من دارد وروجر أعمالهما اللغويّة مساهمةً في حجّة ضد تجارة الرقيق، على أساس المساواة الإنسانية الأساسية التي كُشفت عنها في اللغة. كما كتب دارد "لكل شعب عاداته وتقاليده وروحه المختلفة؛ لكن جميع الرجال لديهم ذكاء متساوٍ"[9]. ويضيف روجر: "لقد عرف هؤلاء [السنغاليون] كيف يمنحون الولوف الكثير من التماسك والرقة والانتظام. ما هي التركيبات، أي روح منظمة ... الفرصة لا تخلق شيئًا مثل هذا. يفترض هذا العمل مسبقًا وجود شعب موهوب بحكم واضح، وتنظيم [فكريٍّ] سعيد،

---

(7)أوّل مدرسة رسمية في أيام الاستعمار. كانت تضم أبناء النخبة السنغاليين وبعض الجاليات الفرنسية.

(8)Dard, J. (1826). P. 22.

(9)Ibid., p. 22

والذي، على الرغم من التحيّزات العبثية المستوحاة غالبًا من لونهم، ليس لدى البشرية ما تخجل منه"[10]. لكن إذا كان السود أذكياء على حدّ سواء، فإنهم لم يكونوا، في نظر هؤلاء المؤلفين، متحضّرين بنفس القدر. لا يمكن أن تأتي "الحضارة" إلا بالتعليم؛ تعليم دينيّ مسيحيّ ومحو الأمية. وبسبب هذا الافتقار، وُصف الأفارقة بشكل سلبي ("غير متحضر"، "غير معلوم")؛ أو في حالة طبيعية؛ أو في حالة بائسة سببها نهب تجارة الرقيق[11].يذهب دارد إلى أن على فرنسا واجبا أخلاقيّا على الشعب السنغالّي نتيجة الآثار السيئة لتجارة الرقيق وواجب التقديم التعليمات إلى إفريقيا:ذلك أنه يرى أن حلّ هذه المشكلة الثقافية في تعليمهم، "إذَا أخذ المرء عناءَ تعليمهم القراءةَ والكتابة والحساب بلغتهم الخاصّة، فيمكنهم في وقت قصير جدًا أن يأخذوا مكانهم بين الدول المتحضرة".[12]

تساهم اللغة هنا في تحديد هوية الفرد لدى الآخر الذي ينظر إليه من زاوية الأفكار، التي تتحصّل وفق اللغة التي يتكلم بها أو تكوّنت أفكارُه من خلالها، وبالتالي، فهناك من ذهب إلى تصنيف أصحاب اللغات المحليّة بغير "التحضر" و"الجهل"، وذلك لأنّهم لم يتلقوْا تعليمات دينيّة عن طريق التعليم المسيحيّ، وعليه، يجب تعليمهم عبر اللغة الفرنسية. بينما يرى دارد أن حضارة السود[13] لا يمكن أن تتحقق إلا عبر تعليمهم وبلغتهم الأم، لأن أسباب التحضر، على خلاف من يرى أن التحضر يجب أن يكون بنمط الغرب، يجب أن يبدأ من لغة الفرد؛ يتعلم بها إذا ما أراد أن يُحقق الاستقلالية الفكرية والهوياتية، دون التبعية أو التسيّب في استيعاب اللغات الأخرى على هوياته. وهذا يتوافق مع ما ذهبت إليه السنغاليّة اللسانية *أرام فال جوب [Arame fall DIOP]*[14]حيث قالت: *"إن اللغة الوطنية هي ناقلة للمعرفة. فتعلّم لغة أجنبية في ستّ سنوات مضيعة للوقت. لقد ذكرها علماء الرياضيات. في الواقع، يستغرق الناس وقتًا طويلاً في تعلم اللغة لفهمها"* [15]. إذا كانت سياسة اكتساب المعرفة ضرورة حتمية لتنمية البلدان الأفريقية على مستوى الوعي والحفاظ على الهوية الوطنية، يبقى أن يكون تنفيذها يمر بالضرورة عبر اللغات المحلية. وهذا يوافق مع قولإيرْوِينْ(Irvine): "لم تكن الحضارة احتكارًا فرنسيًا، بل كانت شرطًا قد تطمح إليه أي دولة، ومن خلال لغتها الخاصّة"[16]، وعليه يمكن للسنغال، بل ينبغي، أن تبني مصادرَها التنموية والثقافية والهوياتية على لغاتها الوطنية وليست على لغة أجنبية!

فالثقافة والحضارة القومية لا تُحفظ من خلال لغة أجنبية، لأن الأفكار والفكرانيات (Ideology)، تُحافظ عليها للأجيال القادمة من خلال اللغة التي أنتجتْها ويُفكّر بها أهلُ تلك اللغة. فلا فرنسا ولا إنجلترا تقدّمت وحافظت على إرثها الثقافي ّالهوياتيّ بلغة أجنبية أخرى.

)[10](Ibid., p.01

)[11](Irvine, J. T. (1993). Mastering African language:The Politics of Linguistics in NineteenthCenturySenegal. Social Analysis: *The International Journal of Social and Cultural.* Practice, 33. P. 30.

)[12](Dard, J. (1826). P.14.

([13]) يستخدم دارد كلمة "السود" noir / black تعبيرا عن الشعب السنغالي.

([14])حصلت السيدة أرام فال جوب على دبلوم الدراسات العليا في اللسانيات من جامعة الشيخ أنت جوب بداكار. ثم انضمت إلى المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء (IFAN) في عام 1967؛ ركزت كل أبحاثها في قسم اللسانيات حتى الآن على اللغات الأفريقية.

)[15](Sudonline.sn. (2013, fev 18). Actualite de la pensee de Cheikh AntaDiop Les langues nationales, véhicule du savoir. Récupéré sur www.halima.com : https://bit.ly/3eT9TeV.

)[16](Irvine, J. T. (1993).

ISSN: 2706-6495

أشارت *أرام فال جوب[Arame fall DIOP]* إلى أن "كوريا قامت بعمل مهمّ في تطوير اللغة الكورية التي يتم تدريسها في المدارس العامة، بينما أرادت السنغال التطور بلغة ليست لغتها. دافع الشيخ أنت جوب منذ عام 1960 عن هذه القضية المتعلقة بسياسة اللغة التي تتكيّف مع واقعنا الثقافيّ ومتطلباتنا التنموية".[17]

إن تهميش اللغات المحلية الوطنية خلّف آثارا سلبية على هوية الفرد السنغاليّ وساهمت في تشكيل أجزاء من جوانب هوياتهم فكرية والمعرفية. بل تعدّى الأثرُ السلبيّ على الهوية ليصل إلى مصدر الأفكار، تقريبا، ابتداءً من السنغال إلى جميع المستعمرات الفرنسية، فكأنهم يشتركون في نفس المرض وبنفس الأسباب. هكذا ألقى الأنثربولوجيّ السنغاليّ الشيخ أنت جوب خطابا على شباب دولة نيجير (niger)قائلا:[18]"في كثير من الأحيان، يشبه المستعمَرُ إلى حد ما، أو المستعمَر المحرَّرُ، هذا العبدَ من القرن التاسع عشر، الذي تم تحريره، حيث ذهب إلى عتبة الباب ثم عاد إلى المنزل، لأنه لم يعد يعرف إلى أين سيذهب، حيث أن الوقت الذي فقد فيه حريته هو نفس الوقت الذي تعلّم فيه التبعيّة، وكذلك هو نفس الوقت الذي تعلّم فيه التفكيرَ من خلال سيده"[19]. والتفكير من خلال أفكار سيّده لا يكون إلا عبر لغته لأن اللغة وعاء للهويات الثقافية. فلما كان الإنسان السنغاليّ/ المستعمَر من فرنسا، عدَل عن التفكير بلغته صار مسلوب الهوية. والدليل عليه أنَّ طرْح بعضِ الطّلاب الفرنسيّة على الشيخ أنت جوب عدّة أسئلة متعلّقة بالهويات والثقافات الإفريقية في مجالها الفكريّ/ المعرفيّ، فلخّصها في قوله:

"كل الأسئلة التي طرحتموها عليّ تعُود إلى سؤال واحد وهو ‘متى سيعترف بكم البيض؟’بينما ترون أن الحقيقة ترِنّ بيضاءَ! لكن ما تقولونه أمر خطير، لأنه إذا كانت المساواة الفكريةّ ملموسةً بالفعل، فيجب على إفريقيا -في الموضوعات المثيرة للجدل (مثل الأصل الأفريقيّ للحضارة الإنسانية الأولى)- أن تكون قادرة على الوصول إلى حقيقتها من خلال فكرها الخاص، ثم التحقّق والتمسّك بهذه الحقيقة حتى تعرف الإنسانية أن إفريقيا لن تكون مجروحة بعد الآن، وأن الفكرانيِّين (الأيديولوجيين) سوف يضيّعون أوقاتهم، لأنهم سيصادفون ذكاء متساوياً يمكن أن يواجههم في البحث عن الحقيقة.لكنكم مقتنعون، بأنه، ولكي تكون الحقيقة صحيحة وموضوعية، يجب أن تكون بيضاء اللون. غير أن هذه العُقدة في روحنا يجب أن تختفي (...). إذا لم أكن عميق الاقتناع بقدرة كل عرق على قيادة مصيره الفكريّ والثقافيّ، فسوف أُصاب بخيبة أمل، فماذا سنفعل إذا؟"[20].

يرى أحمد مُختار امبُوْ[21][Ahmad MokhtarMBOW]أنه "لن نخرج أبدًا من الوضع الذي نجد أنفسنا عليه، إذا لم ننجح، نحن أنفسنا،

---

[17](Sudonline.sn. (2013, fev 18).

[18](Diop, C. Anta. (2013). Allocation de Cheikh AntaDiop à la jeunesse du Niger. *SARL NAQD,* 30. P. 215 à 216.

[19]منشورة في هذا الرابط https://www.cairn.info/revue-naqd-2013-1-page-215.htm أنبّه إلى أن الباحث قد لا يصل إلى المقالة لأن الجريدة تُفرض لغير المُشتركين رسومات.

[20](Ibid., p. 216.

[21]أحمد مختار امبو سياسيّ سنغاليّ. كان أستاذا للتاريخ. شغل عدة مرات منصب وزير في بلاده والمدير العام لليونسكو لمدة 13 عامًا. ألقى هذا الخطاب

في عام 2008 عندما كان يبلغ من العمر 87 عامًا، وافق على رئاسة الجمعية الوطنية السنغالية التي أطلقتها جبهة *SiggilSenegaal*(الترجمة الحرفية: رَفْعُ السنغال؛ بمعنى رفْع راية السنغال) والتي جمعت لمدة عام تقريبًا أحزاب المعارضة الرئيسية في السلطة في عهد الرئيس عبد الله واد وعشرات من منظمات مختلفة. ولأنه يتمتع بالخبرة والوعي بمسؤولياته، فقد التقى سابقًا برئيس الدولة وممثلي المجتمع المدني وكبار الشخصيات الدينية 4. في 24 مايو 2009 ثم أعلن رسميًا إغلاق الجمعية.

ISSN: 2706-6495

في الحصول على المعرفة التي هي الأعلى في العالم وأن نكون مساهما أيضًا في خلق المعرفة"[22]، وبالتالي، فإن الهوية السنغالية تتقوّى وتتحقّق من خلال وعيها بأهمية لغاتها المحليّة وما تتضمّنها من المقوّمات الحضاريّة والثقافيّة والمعرفيّة، وأن الإنتاج المعرفيّ لا يكون بلغة أجنبيّة، وعليه، ينبغي إعادة صياغة السياسات اللغوية في السنغال مع إعادة الاعتبار إلى اللّغات الوطنية في المجالات الثقافيّة وإنتاج المعرفة وتكوين الهويات السنغالية، لأنها تَحمل مقوّمات هويات السنغاليِّين من سلَفهم إلى خلَفهم.

قد يعود تراجع الوعي بأهمية اللّغات القوميّة لدى الشعب إلى تأخّر انفتاح الجامعات السنغالية والمؤسسات الاجتماعية الفاعلة عن الدراسات التداوليّة للّغة، ولم تتجاوز الحركات النخبويّة النشطة مثل "*الجمعية الوطنية السنغالية التي أطلقتها جبهة SiggilSenegaal* برئاسة الشيخ أنت جوب، حدودَ الإطار النخبويّ، ولم يكن الشعب آنئذ واعياً ومُدركا الجوانب التداولية للغاتهم، وكيف هي وعاءٌ للأفكار وقوةٌ في تكوين هويتهم القومية إضافة إلى أهميتها في تحقيق الاستقلال المعرفيّ والثقافيّ.

من الأهمية بمكان، أن ينفتح المجتمع على باقي المجتمعات البشرية وعلى ما عندهم من الأشياء الإيجابية، حيث إن المتعدّد اللغويّ يرى العالم ويُفسّره بشكل أكثر رحابة وانفتاحا من الأحاديّ اللغويّ، لكن، لكي يتحقق الحفاظ على الهوية دون أن يتعرض للاستيلاب والتمييع، فعلى المجتمع أن يحقِّق الحصانة والمناعة اللغوية الهوياتية لتقدر على التصديّ عن المؤثّرات الفكرانية من اللغات الأجنبية الأخرى على المستوى الثقافيّ والفكريّ.

المحور الثاني:

اللغة العربية مصدرا للهوية:

إن معظم الإحصاءات الرسميّة في السنغال تُظهر ضَآلَةَ نسبة المتكلّمين بالعربية، وهذا يرجع إلى اعتبارات فكرانيّة، هي من وِراثة الخطوات المنهجيّة لما بعد الاستقلال لمحاولة الاستيعاب اللغويّ وتَدخل ضمن السعي لفرنسنة الشعب السنغاليّ وفرض اللغة الفرنسية المستعمِرة عليهم، لذلك لا تكاد تجد تسجيلا لنسبة السنغاليِّين المتكلِّمين بالعربية، في حين، يكتفون بتسجيل الجاليات المتحدّثة بها فقط دون اعتبار السكان الأصليِّين من المسلمين المتعدّد اللغات. [23]

[22](Sudonline.sn. (2013, fev 18).

[23] قامت جامعة laval بشراكة مع الحكومة السنغال لإجراء هذه الإحصاءات اللغوية، بالإضافة إلى إضافة معظم السياسات اللغوية في السنغال. أشير هنا إلى أن الأرقام في الخطاطة كانت ترجع لسنة 2012 ولم تغط أيضا الأوضاع ما قبل الاستعمار الفرنسي على السنغال، لذلك لم تسجّل النسبة العربية من الشعب. للمزيد من المعلومات اتبع هذا الرابط: [النص باللغة الفرنسية].
http://www.axl.cefan.ulaval.ca/monde/famnigero-congolaise.htm#ouest-atlantique

جدول رقم (1): اللغات المتداولَة في السنغال. (جامعة laval بشراكة مع الحكومة السنغالية، 2020).

Ethnie	Population	Pourcentage	Langue maternelle	Affiliation linguistique
Wolofs et Lebous	5 208 000	39,7 %	wolof	groupeouest-atlantique
Peuls, Poulars, Fula, Toucouleurs,	3 452 000	26,3 %	peul	groupeouest-atlantique
Sérères	1 376 000	10,5 %	sérère	groupemandingue
Malinkés (Malinka)	1 296 000	9,8 %	malinké (malinka, mendé)	groupemandingue
Diolas (Joolas)	318 000	2,4 %	diola	groupemandingue
Soninkés	281 000	2,1 %	soninké	groupemandingue
Mauresblancs	134 000	1,0 %	arabehasanya	famille afro-asiatique (sémitique)
Mandjaques	121 000	0,9 %	mandjaque	groupeouest-atlantique
Créoles de Haute-Guinée	118 000	0,9 %	kriolu (créole de Guinée-Bissau)	créole portugais
Balantes	96 000	0,7 %	balante	groupeouest-atlantique
Bambaras (Bamanakan)	70 000	0,5 %	bambara (bamanankan)	groupemandingue
Arabelibanais	61 000	0,4 %	arabelibanais	famille afro-asiatique (sémitique)
Jahanques (Jahanka)	47 000	0,3 %	jahanque (jahanka)	groupemandingue
Français	47 000	0,3 %	français	langue romane
Ndut	43 000	0,3 %	ndut	groupeouest-atlantique
Soussous (Susu)	37 000	0,2 %	soussou (susu)	groupemandingue
Mossi (Moorés)	37 000	0,2 %	mòoréoumossi	groupegour
Métis	34	0,2 %	créolecapverdien	créole portugais

capverdiens	000			
Mancagnes (Man kanya)	34 000	0,2 %	mancagne	groupeouest-atlantique
Arabessaharien	28 000	0,2 %	arabehasanya	famille afro-asiatique (sémitique)
Wamei	21 000	0,1 %	wamei (wamey)	groupeouest-atlantique
Bayottes	19 000	0,1 %	bayotte	groupeouest-atlantique
Gusilay (Kusilay)	18 000	0,1 %	gusilay	groupeouest-atlantique
Bassari	15 000	0,1 %	oniyan	groupeouest-atlantique
Keraks	15 000	0,1 %	kerak	groupeouest-atlantique
Lala	14 000	0,1 %	laalaa	groupeouest-atlantique
Bandials	13 000	0,0 %	bandial	groupeouest-atlantique
Arabessyriens	12 000	0,0 %	arabesyrien	famille afro-asiatique (sémitique)
Palors (Falors)	12 000	0,0 %	palor	groupeouest-atlantique
Yalunka	11 000	0,0 %	yalunka	groupemandingue
Khasonkés	10 000	0,0 %	xaasongaxango (khasonké)	groupemandingue
Bainouks (Karonés et Samiks)	9 400	0,0 %	bainouk-gunyaamolo	groupeouest-atlantique
Karons	9 600	0,0 %	karon	groupeouest-atlantique
Kwatay	7 200	0,0 %	kuwaataay	groupeouest-atlantique
Mlomps	6 200	0,0 %	mlomp	groupeouest-atlantique
Papels	6 200	0,0 %	papel	groupeouest-atlantique
Créolesanglais	6 100	0,0 %	crio	créoleanglais
Bédiks	4 300	0,0 %	bédik	groupeouest-atlantique
Zenaga	2 500	0,0 %	zenaga	famille afro-asiatique (berbère)
Badjara	2 100	0,0 %	badyara	groupeouest-atlantique

ISSN: 2706-6495

Cassanga	500	0,0 %	cassanga (kasanga)	groupeouest-atlantique
Cobianes	400	0,0 %	cobiane	groupeouest-atlantique
Autres	57 000	0,4 %	-	-
Total	**13 098 700**	**100,0 %**	-	-

فكما نجد في الجدول (رقم (1))، لم يؤخذ في الاعتبار إلا العربُ الحسّانيّة[24] من 1,0٪ والعربية اللبنانيّة 0,4 ٪؛ وهذه الفئة لم يكن لهم وجودٌ قبل سنة 1967 حيث كانوا لاجئين إلى السنغال، وعربيةُ جنوب الصحراء 0,2 ٪، ثم هناك إقصاء للتعدّدية اللغويّة، حيث إن 90٪ من الشعب يفهمون الوُلوفْ. هكذا لم نجد إحصاء للسنغاليِّين الذين يتكلّمون العربية، في حين،

نجد أنّ السنغال قبل الاحتلال الفرنسيّ لم يتداول لغة على مستوى الإدارة وشؤون الدولة غير العربية، حتى المراسلات التي كانت تُكتب باللّغات المحليّة كانت تستخدم الأحرف العربية، إلى جانب أنّ معظم شيوخ القبائل ونخبة المماليك كانوا يُتقنون اللغة العربية.

إنّ السنغال من البلدان الإسلامية التي يدرس أبناؤها باللغة العربية إلى جانب اللغة الفرنسية. لقد كانت العربية لغتهم الثقافية والتعليمية والدينية وحتى في المعاملات الإدارية والمراسلات الرسمية قبل الاستعمار. فكان اكتساب اللغة العربية مقترنا بدخول الفرد في الإسلام، حيث يبدأ بحفظ القرآن الكريم وتعلم الفرائض العينية، لأنه يتعلم تلك الأمور بالعربية الفصيحة "إنهم يشبهون العرب، ومعظمهم يتكلمون العربية لأنهم يتعلمونها في مدراسهم"[25].

أصبحت اللغة العربية قبل مجيء الاستعمار، ومع انتشار المدارس القرآنية ومعاهد التعليم، لغةَ أهل السنغال وجزءا كبيرا في هويتهم الدينية والإدارية، حتى إذا كانوا يكتبون باللغة الوُلُوفيَّة، فهم يكتبون بالأحرف العربية عموما، إضافة إلى تسرب مفردات ومصطلحات دينية كثيرة من المعجم العربي إلى اللغة الوُلُوفِيَّة (الاقتراض اللغويّ)، إلّا أنّ فترة الاستعمار كانت مرحلة انحطاط وهبوط سهم اللغة العربية في السنغال، نتيجة العوامل المضادّة لكل ما يمت بصلة إلى الإسلام بشكل عام، بما في ذلك التعليم العربي الإسلامي في نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن الواحد والعشرين.

يجدر الإشارة إلى أن الحرب الثقافية من الغرب لم تمنع سكان السنغال من تعلّم اللغة العربية وثقافتها الدينيّة، لكن ضمُور مستوى حضورها وتأثيرها شهدا انخفاضا حادّا بفعل الغزو الثقافيّ الفرنسيّ. هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن ضعف المناهج وقلة الأدوات البيداغوجية، بما في ذلك غياب المعاجم المدرسية في النظام التعليمي، ساهم بشكل كبير في تدنّي اكتساب هذه اللغة من جديد، ما أدّى إلى فتور همّة التلاميذ من مواصلة دراساتهم بالعربيّة.

لقد حاربت فرنسا، اللغةَ العربية، وقد أخذت هذه الحرب عدّة أشكال؛ من سبيل التهميش والتسطيح والسخرية ومنع استعمالها وتداولها إلى جانب إبعاد أهلها عن المجال العمليّ الحكوميّ العام.

---

[24] ويعتبر دارمانكوموورز[MauresDarmanko] جزءًا من المجتمع المغربي الأكبر حجمًا والذي ينقسم الآن بين المغرب والصحراء الغربية والجزائر وموريتانيا والسنغال ومالي والنيجر. وفي موريتانيا والسنغال ومالي أكبر عدد من المغاربة. والحسانية من فصيلة الدارجة المغربية، إذن، تعني أنها من أصل عربي.

[25] الودغيري، عبد العالي. (2011). ص 101.

ومما زاد على حدة الانخفاض، إلى جانب تلك، ضخُّ تمويلات ضخمة لفائدة اللغة الفرنسيّة على حساب العربيّة؛ فسعوا إلى توفير -تقريبا- كلَّ اللوازم التعليميّة والبيداغوجيّة، التي تساعد التلاميذ أن يجدوا طريقة وأسلوبا سهلا في اكتساب اللغة الفرنسيّة، وكلما في الأمر، هو أنهم، بشدّة تمسكهم بالدين الإسلامي، اعتمدوا على اجتهاداتهم الشخصيّة مع العناية الإلهيّة في تعلّم لغة القرآن مع الحفاظ على هوياتهم الدينية والحضارية، التي كانت فرنسا تستهدفها بكل وسيلة من أحدث الوسائل.

فليست قضية الاقتراض اللغويّ من العربية إلى الولفية مجرّد تفاعل لغويّ فحسب، بل إنها ظاهرة تتسم بحمولات ثقافية وهوياتية، حيث إن الشاي [أَتَايَوأَتَايْ بالمغربية، وكَاسْ/ كأْسُ بالمغربية، ونَانَا/ نعناع بالعربية] لم تكن مجرد أسماء بلا ظاهرة تداوليّة اجتماعية بارزة. فلا تختلف طريقة السنغالي والموريتانيّ والمغربيّ والصحراويّ في شرب الشاي، فكأنهم مجتمع واحد، والسبب في ذلك، كما هو معروف أن الشاي ليس لأحد منهم[26]،

أنهم يشتركون في ثقافة شرب الشاي، بعبارة أخرى، أنهم لم يأخذوا الكلمات مجرّدة من المعاني، بل أخذوها على معانيها التداولية الثقافية.

فهذه التعددية اللغوية من العربية واللغات المحلية أضْفت صورة هوياتية دينيّة وثقافيّة على الفرد السنغاليّ المسلم، بل إن الإسلام بشكل عام أثّر في تشكيل هويات الشعب السنغاليّ[27] وإن حاولت فرنسا بفكرانياتها محوَها ووأدَها والسعيَ نحو استيعابها وفرض اللغة الفرنسية على الشعب، لكن الشعب نجحت في احتواء هذه الحرب اللغوية والثقافية لما تمكّنت من التمسك بهويته الدينيّة والإسلاميّة.

هذا لا يعني، في أي حال من الأحوال، أن اللغة العربية هي أيضا عنصر نقيّ. تسّربت مجموعة من العادات العربية إلى السنغال بفعل المثاقفة والتفاعل الحضاريّ عبر بوّابة الدِّين والمصاهرة على مستوى الأنساب والدمّ، فحمل الفرد السنغاليّ تفكيرا وتصوّرات، في بعض الأحيان، لا علاقة لها بالإسلام، وإنما ترجع إلى طبيعة اللغة التي يتكلّم بها على مستواها التداوليّ الثقافيّ. وتتجلى تلك في طريقة اللباس والعيش والسكن والرؤية للعالم في أحيان أخرى، وبالتالي، فلا يمكن القول: إن الفرد السنغاليّ يرى العالم بعين سنغاليّة خاصّة على قدر ما ينظر إليها بأعين متعدّدة بفعل العامل التعدّدي ّاللغويّ لديه

المحور الثالث:

الاستعمار وفرض اللغة الفرنسية:

سبق في إشارة إلى أن أول مدرسة فرنسية كانت في سين لويس عاصمة السنغال الأولى، وكان دارد أوّل معلّم للّغة الفرنسيّة، غير أنه أُقِيل لأسباب ذكرتُها، منها أنّ دارد كان يدرّس السنغاليِّين بلغتهم أوّلا، في حين، " كان اهتمام السلطات الاستعمارية هو تدريب مساعدين مسؤولين،

([26]) كلمة الشاي ليست عربية ولا سنغالية وإنما هي صينية وصلت للدول العربية عن طريق إيران، ومن مسلمي المغرب إلى السنغال مع دخول الإسلام. انظر عرض الطالب أمين جينغ (طالب صيني في معهد الدوحة) حول "تأثيل كلمة الشاي" سنة 2020 في محاضرة "المعجمية العربية"، وما أضافه الدكتور إلياس عطا الله عقب العرض.

([27])إن المسحيين في السنغال يسلم بعضهم بعضا، سواء سنغالي مسلم أو غيره، ب "السلام عليكم" يقولون: "سلامُ عليكم" باللكنة السنغالية. وهذه الصورة تعبيرة صريحة على التأثير الإسلامي على الهويات القومية.

بحيث يقدرون على القراءة والكتابة للعمل كمترجمين وتسهيل التجارة مع السكان"[28] ، ولم يكن لتثقيفهم أو تحديثهم (modernise). ولمّا رأوا، في رأيهم، فشلَه استبدلوه بإخوان بُوليرْمِلْ [les freresploermel] قاموا بإنشاء نظام تعليميّ، مباشرةً، على غرار النموذج الفرنسيّ دون الأخذ بعين الاعتبار واقع البلاد. اختلفت طريقتهم عن **طريقة دارد من حيث إنها ركزت على تدريس اللغة التقليدية مع حظر تام على التحدث باللغات المحلية.** يجب، هنا، أن نتذكر، أن الإخوة قد حصلوا من السلطات الاستعمارية الفرنسية إذناً على أنهم يُدرجون في عَقدهم بندًا يتطلب تدريس نفس البرنامج كما في العاصمة الفرنسية.[29]

إن فرض الفرنسية على الشعب وإرغامهم على تعلّمها جاء عقب قرارات سلطة الاحتلال على إجبار التلاميذ بدراستها في المساء،

ومن ثم أصدروا قرارات إضافية أخرى أكثر عنفا تقوم على فرض غرامات مالية وفي بعض الأحيان جنائية على أصحاب المدارس القرآنية، لأن كثيرا من الشعب كانوا يعتبرون المدرسة الفرنسية مركزا للتغريب والعلمنة.

رأى العديد من المسلمين في هذه المؤسسات أماكن للهلاك والردّة، معتبرين إياها أداة للدعاية في خدمة الكاثوليكية، وهي هيئة تبشيرية كانت في السنغال، خاصة وأن هذه المؤسسات كانت، في معظم الأحيان، يديرها رجال دين مسيحيِّين. وكان ذلك في عيون الشعب السنغاليّ خطرا بارزا في وجه الحفاظ على عقيدتهم وثقافتهم. هذا، كانت لدى فيدربه [Faidherbe][30]، بصفته إداريًا جيدًا لخدمات الاحتلال، فكرةُ علمنة هذه المؤسسة الجديدة لتبديد هذه المخاوف، دون التمكّن من وقف الاستياء بسبب المنافسة من المدارس القرآنية. ففي عام 1857، من خلال ترسانة قانونية ملزَمة كاملة، دخل في صراع مباشر مع المدارس المذكورة. تنص المادة 5 من المرسوم رقم 6 الصادر في 22 يونيو 1857 على أن "معلميّ المدارس الإسلاميّة ملزمون بقيادة السيارة أو إرسال كل يوم إلى الفصل المسائيّ - إما فصل المدرسة العلمانية، أو الإخوة- جميع الطلاب بعمر 12 سنة فما فوق"[31].

يمكننا أن نرى مدى مخاوف السلطات الاستعمارية في رغبتها في فرض الفرنسية بأي ثمن وبكل الوسائل المتاحة. في عام 1870، صدر مرسوم آخر من الحاكم يذهب أبعد من ذلك في مكافحة المنافسة "غير العادلة" مع المدارس القرآنية:

"نحن حاكم السنغال وتوابعها [...] معتبرين أن الهدف من إدارة المستعمَرة، من خلال تنظيم المرسوم المذكور لمؤسسة المدارس الإسلامية، **هو السعي إلى استيعاب أطفال السكان الأصليِّين، وأن هذا الهدف لم يتحقّق حتى الآن بسبب اللامبالاة التي يحملها أساتذة المدرسة القرآنية.**

([28])Faty, El HadjiAbdou Aziz. (2014). « Politiques linguistiques au Sénégal au lendemain de l'Indépendance. Entre idéologie et réalisme politique », Mots. Les langages du politique [En ligne], 106, mis en ligne le 31 décembre 2016, consulté le 21mai2019.URL : http://journals.openedition.org/mots/21747. P. 16.

([29])Bouche, D. (1968). « Autrefois notre pays s'appelait la Gaule... Remarques sur l'adaptation de l'enseignement au Sénégal de 1817 à 1960 », Cahiers d'études africaines, vol. VIII, no 29, p. 111.

([30])حاكم فرنسيٌّ في مدينة سين لويس. كان عسكريا شريرا سجل له التاريخ السنغالي انتهاكات صارخة ضد حقوق الإنسان، أقلها كان يغتصب الفتيات، كما كان قاسيا على الشعب!

([31])Fall,Moussa. (2003). « Baisse du niveau des élèves en français : mythe ou réalité. Le cas du Sénégal »,SudLangues, n° 3, p. 154.

في حين أن الطريقة الأكثر فعالية لتحقيق ذلك هي الآن مطالبةُ هؤلاء المعلّمين بتعويد الأطفال على فهم اللغة الفرنسية والتحدّث بها، وبالتالي تقول المادة رقم 1: **لن يتمكن أيّ شخص في المستقبل من الحصول على تصريح لعَقد مدرسة إسلاميّة [...] إذا لم يكن بإمكانه تبرير معرفته بالفرنسية** أمام هيئة المحلّفين [يعني حُكام الفرنسية القانونية]...كما تنص المادة رقم 3: يجب على الطلاب الملتحقِين بالمدارس الإسلاميّة تعلّمُ التحدّث بالفرنسيّة هناك، وأن الذين، بعد عامين، لن يكونوا قادرين على فهم اللغة الفرنسية بطلاقة، لن يذهبوا إلى المدارس القرآنيّة، ولن يعودوا قادرين على الالتحاق بمدرسة الإخوان أو المدرسة العلمانية"[32].

تركت، هذه السياسة اللغويّة القائمة على أساليب فرض الأحادية اللغوية، جروحاتٍ وتشوّهاتٍ في هوية السنغاليِّين، وفي طبيعة ممارساتهم اليومية والاجتماعية وحتى الإدارية، حيث إن مؤسسات الدولة،

ما بعد الاستقلال، لم تُنظّم أوضاع أصحاب اللغة العربيّة ضمن رعاياها أو تعتبرهم أو تُوظّفهم في مؤسسات الدولة بذريعة عدم إتقانهم اللغةَ الفرنسية ولو كانوا درسوا الطبَّ أو الهندسة باللغة العربية!

كذلك، ينظر بعضٌ من الشعب إلى الذين لا يتقنون اللغة الفرنسية، بفعل التأثيرات الثقافية والفكرانية الناتجة من تلك السياسة العنصرية، على أنهم ليسوا مثقّفين ولا حداثِيين، حيث صارت تلك النظرة صورةً نمطيّة، لدرجة أن يضطرّ الفرد السنغاليّ، لكسر تلك الصورة النمطيّة، أن يكون متعدّد اللغة (إما العربية / الفرنسية، أو الفرنسية مع احدى اللغات المحلية) لكي يجد ويحظى على اعتبار المجتمع، ولا تزال هذه الصورة حاضرة في ذهن كثير من الشعب السنغاليّ وإن انخفضت حدّتها في الآونة الأخيرة، كما أن خيار التعددية اللغوية لم تكن عملا اختياريًّا على طيب راحة الشعب، بل ظل خيارا إجباريًّا في النهاية، إما على سبيل القوة وسلطة الاستعمار الخشنة، وإما على سبيل القوة الناعمة الفكرانية، والعنف الرمزيّ[33] المعنويّ بخلق تأديبات اجتماعية[34]، كما تقول ماريلرِسْبَايْ [MarielleRispail]: "في بعض الأحيان تُفرض دولة لغة ما؛ في مكان آخر تعيش بدون دولة أو عبر حدود الدولة"[35]، وبالتالي، وفق منطق القوة، يقول رولان بارث نقلا عن رسبايْ: "تدخل اللغة في خدمة السلطة"[36]. هذا القول يبرر فكرانية الاحتلال الفرنسيّ على تكوين هوية لغوية لدى السنغاليِّين تُمكنهم من مزاولة مهمة التجارة الاستعمارية في المنطقة، إلى جانب خلق مترجمين وسطاء بينهم وبين الشعب.

المحور الرابع:

التعدّدية اللغويّة وعلاقتها بالهويات:

تربط دراسات اللسانيات الاجتماعية فكرة الدولة القومية والأحادية اللغوية بالهوية، حيث إن اللغة في هذه الحالة تجسيد واقعيّ للهوية. يرى هاري بُوَايِي[Henri Boyer](2010) أنه وصل تقدير عدد اللّغات المستخدمة في العالم بأكثر من 6000،

---

[32] Ibid., p. 154

[33] هذا المصطلح من الباحث الفرنسيّ بِيِير بُوزْدِيُو.

[34] socials punishments.

[35] Rispail, Marielle, Ammari, Hadjer. (2013). *Langues et pouvoirs.* Belgique, Bruxelles, Cahiers de Linguistique, EME éditions. P. 4.

[36] Ibid., p. 12.

ISSN: 2706-6495

لذلك من الواضح أن أحادية اللغة هي الاستثناء وأن تعدّد اللغات هو الوضع الأكثر انتشارًا في جميع الدول. وينطبق الشيء نفسه على أوروبا، مع وجود تعدّدية أقل، ولكن مع ذلك، غالبًا ما تكون مهدّدة. ومن هنا جاء تنفيذ مجلس أوروبا لحكم سياسة اللغة فوق الدول الميثاق الأوروبيّ للغات الإقليمية أو أقلّية[37]، لأن الفضاء الجيوسياسيّ الأوروبيّ غالبًا ما يكون هو المكان الذي تطوّر فيه المثل الأعلى للدولة القومية إلى أقصى حد، أي مثال دولة أحادية اللغة تميل إلى ربط نفسه بإقليم، أو بمنظمة سياسية وإدارية واحدةٍ ولغةٍ واحدة. فالدولة الفرنسية هي تحقيق هذا المثل الأعلى للدولة القومية التي تستحوذ على عدد كبير من مطالبات الهوية (والقومية) في القارة الأوروبية[38].

حاولت فرنسا لما استعمرت السنغال أن تطبّق نفس السياسة الأوروبية في أراضيها فحاولت القضاء، من خلال شنّ حرب لغوية، على اللغات المحلية والأجنبية السابقة على الفرنسية فيه مثل العربيّة، بناء على فكرة الفكرانية القومية والأحادية اللغوية. وكل ذلك سعيٌ نحو سحق وتجريد السنغاليِّين من هوياتهم، لأن الهوية اللغوية هي الحاضنة الأساسية لباقي الهويات الثقافية والحضارية، غير أن ردّة فعل المعارضة من الماركسيِّين والمحافظين القوميِّين أفشلوا هذا التخطيط اللغويّ[39]، حيث أسّسوا جمعية siggil Senegal التي كانت خلية للاهتمام باللغات الوطنية السنغالية حتى أصبحت مقرَّرا في الجامعات السنغالية في العقود الأربعة الأخيرة.

يمكن التسجيل هنا شيئا له علاقة بالتعدّديّة اللغوية، حيث تتحقق في ظاهرة التعددية اللغوية مقولة حسين السودانيّ، حيث رآى في مقالته "لماذا نتعلم لغة أخرى"[40]. يقول كذلك: "فلا غرابة في أن تجد أكثر الناس تسامحا وقبولا بالأخر أولئك الذين يتكلّمون بأكثر من لغة (...)، إنّ تعلّم لسان جديد هو فتحٌ لنافذة جديدة على الكون(...)، وفي مستوى العلاقة بالمحيط تفتح اللغةُ الجديدة أساسَ هوية جديدة، فتُخرج الفرد من انغلاق الهوية، ولذلك تجد متعدد الألسنة مجبولا على التسامح"[41]. لا يبتعد الأمر عن فكرة أشرف عبد الحيّ[42] على أنَّ الهوية لا تقوم خارج اللغة، وبالتالي، فكلما تتعدّد الشخص لغويا تتعدّد هوياتيا، ولا يدعو أحد إلى الهوية الواحدة إلا من يدعو إلى الأحاديّ اللغوية.

3) الهوية الدينية وعلاقتها باللغة.

سبقت الإشارة إلى أن اللغة العربية كانت لغة الإدارة والمراسلات بين المماليك في السنغال قبل الاحتلال الفرنسيّ، بحكم علاقتها بالدين الإسلاميّ، خاصة أن كثيرا من تلك المماليك كانت مسلمة، والتي لم تكن كذلك تقوم بتعيين كُتاب في الديوان الملكيّ للقيام بمهمة الترجمة والفتيا. غير أن هذه الصورة تغيّرت مع سقوط كلّ المماليك بيد بعضهم البعض إلى جانب التدخل الاستعماريّ. ولم تنجُ اللغة العربية من هجمات الاحتلال ومحاربة تأثيرها في الفرد السنغاليّ.

)[37](Woehrling, J.-M., (2005), La Charte européenne des langues régionales ou minoritaires.Un commentaire analytique, Strasbourg, Conseil de l'Europe.

)[38](Boyer, H. éd.(2004). Mots. Les langages du politique, no 74, mars, Langue(s) etnationalisme(s).

)[39](https://maliactu.net/mali-le-professeur-cheikh-anta-diop-et-lamenagement-linguistique-de-lafrique-suite/

([40])السوداني، حسين. (2018). "**لماذا نتعلّم لغة أخرى؟**". **مجلة العربيّ**، العدد 716، يوليو، ص 28.

([41]) نفس المرجع، ص 28

([42]) محاضرات في المعجم والمجتمع، معهد الدوحة للدراسات العليا،قطر، السنة الثانية، 2020، برنامج اللسانيات والمعجمية العربية.

ISSN: 2706-6495

كتب الرئيس السنغالي الأوّل عن علاقة "Négritudeet arabisme le dialectique negro-arabe"[43]الإهمال والعروبية جدليةُ العربيّ الأسود،كما كتب حامدو جاه [HamidouDia][44]عن " État réformateurs et éducation arabo-islamique en Afrique إصلاح الدول والتعليم العربي الإسلامي في إفريقيا. يشير الكاتب إلى وجود نوع آخر من تدريب الأطفال متجذرٍ في ذلك منذ القرن الحادي عشر على الأقل التربية الإسلامية العربية. بدأ أولاً من قبل التجار العرب البربر الذين يمارسون التجارة عبر الصحراء، ثم روجت من قبل الأخويات الدينية، وفي القرن التاسع عشر عُمِّم التعليم العربي الإسلامي من خلال تنوّع المؤسسات التي تشمل، من بين أمور أخرى، المدرسةَ القرآنية والمدرسة الفرنسية العربية والمعهد والجامعة الإسلامية. يعتمد هذا التدريس على تعلّم القرآن واللغة العربية والعلوم. على هذه القاعدة المشتركة، تُبنى طرق محدّدة لتنظيم ونقل هذه المعرفة، إما في بيئة خاصة أو تحت قيادة السلطات العامة، كما تتنوع وفقًا للسياقات والفترات الوطنية التاريخية، وبالتالي يمكن تكريس المؤسسات التعليمية فقط لنقل المعرفة الدينية (المدارس الصوفية القرآنية، على سبيل المثال) أو دمج التخصصات "العلمانية"، وحتى "العلمية" (المدارس الفرنسية العربية أو العربية). تكون الدروس إما ثنائية اللغة باللغتين العربية والفرنسية (مدارس فرنسية عربية) أو تُعطى حصريًا باللغة العربية؛ في بعض الحالات يعتمدون على اللغات المحلية، وخاصة في المستويات العليا.

تُفسّر هذه الفقرات ارتباط الهوية الدينية باللغة العربية عند الشعب السنغاليّ. فتعلّم لغة ثانية أجنبية، في هذه الحالة، تعتمد على أواصرها المتعلقة بالأمور والأفكار الدينية، لذلك كانت فكرة تخْلِيَتِهم عنها نوعا من أنواع الانسلاخ من هويتهم الإسلامية، تماما، مع الاعتبار أن تعويدها بلغة أخرى كان يُنظر على أنها تغريب وتسيّب في الثقافة الغربية. ولا تزال هذه الفكرة عند بعض الآباء في السنغال لحدّ الآن، حيث يعتبرون أن الفرنسية لغة الكُفّار -كما يقولون- فلا يجوز الانفتاح عليها. غير أن هذه الفكرة لها علاقة بالذاكرة التاريخية للشعب السنغاليّ الذي تعرّفوا على اللغة الفرنسية على صورة الرجل الأبيض المستعمِر، وعليه، فهي تعبير رمزيّ عن صورته السيّئة يجب التخلص منها.

4) صراع الهويات بين اللغات الأجنبية واللغات الوطنية:

لا توجد حرب لغوية في أيّ واقع إلا ووُجد معها صراع في الهويات. فالسودان[45] خير مثال على ذلك والقضايا اللغوية في أمريكا بين الأمريكيين السود والبيض دليل واضح على أن معظم الصراعات في الهويات تسبقها توترات في المسائل المتعلقة بالهوية اللغوية.

نجحت الحكومة السنغالية في احتواء إشكالية السياسة اللغوية مع إعطاء الفرنسية شرعية الهيمنة على مؤسسات الدولة، إلا أن الواقع الاجتماعيّ يُفرض عليهم تداول اللغات الوطنية لإضفاء الشرعية على ممارساتهم السياسية،

[43](Senghor, L, S, (1967), Éditions Présence Africaine, n°61, https://www.cairn.info/revue-presence-africaine-1967-1-page-94.htm

[44](Dia, Hamidou, at al. (2016/1). «État réformateurs et éducation arabo-islamique en Afrique», Afrique contemporaine, n° 257, https://www.cairn.info/revue-afrique-contemporaine-2016-1-page-11.htm

[45]للمزيد من المعلومات حول الأوضاع اللغويّة في السودان يمكن مراجعة هذه الورقة البحثية:https://onlinelibrary.wiley.com/doi/full/10.1111/dome.12072

وبالتالي، فكل الأخبار المسموعة تُؤدّى على اللغات الوطنية إذا قُدّمت على اللغة الفرنسيّة، إلى جانب أن معظم الأحداث الدينية والاجتماعية والتاريخية والثقافية تُجرَى باللغات المحليّة، ما جعلت اللغات الوطنية أقوى على الساحات العمومية.

لا تزال الدعوات إلى تمكين اللغات المحليّة تتعالى في الساحات الفكرية والنقاشات الجماهيرية بالتوازي مع المطالبات بطرد اللغات الأجنبية بما في ذلك العربية المرتبطة بالتاريخ دون الوحي. وهذه الحرب قديمة منذ عصر الشيخ أنت جوب،

الذي يعتبر اليوم الأب الأول للحفاظ على اللغات المحلية " la véritable promotion des langues africaines"*الترويج الحقيقي للغات الأفريقية*(1977)، كما دعا إلى "l'unitélinguistique de l'Afrique" *الوحدة اللغوية لأفريقيا*[46]، حيث اعتبر "الوحدة اللغوية تهيمن على كل الحياة الوطنية، بدونها تكون الوحدة الوطنية والثقافية خادعة وهشة"[47]، لذلك لا يزال الصراع قائما بين اللغات الأجنبية والوطنية، بل أصبح أكثر حدّة مع دعوات القطيع مع العملة الفرنسية إلى جانب ظهور فكرانية البَنَفْرِيكَانيةpanafricanismعند الشباب المثقف لدرجة أن كتب إبراهيم يَحَايَا [Ibrahim Yahaya] "PRÉSENCE AFRICAINE : LE COMBAT CONTINU" *حضور إفريقيا: الحرب مستمرة*. هذا عنوان مقالة يدعو فيها إلى التذكير بالنهضة الإفريقية، والبحث عن هويتهم من خلال كتابة نصوص علمية تعيد تأهيل حضاراتهم وثقافاتهم طالما قلّل الكُتاب الأوروبيون من قيمتها أو رفضوها في خدمة أيديولوجية عنصرية واستعمارية[48]...

الخاتمة:

كانت الأهداف من الدراسة بيان العلاقة القائمة ما بين اللغة والواقع على مستوى التداول، سواء يتعلق الأمر على النتائج التي تنعكس عليهم أو على التنوع المجتمعيّ، بالإضافة إلى بيان العمليات المترتبة على ذلك من الاستيعاب اللغويّ الناتج من التدخل اللغويّ الخارجي المتمثّل باللغة الفرنسيّة، التي هدّدت واشتبكت، بفعل السياسة اللغوية في السنغال، مع اللغات المحليّة إلى جانب صراعها مع اللغة العربية.

وكل هذه العناصر أدت إلى ظهور مظاهر هوياتية في شخصية الفرد السنغاليّ، وساهمت في تشكيلها لمّا تجلتْ في معظم تصرفاتهم اليومية والثقافية والسياسة وكذلك الاجتماعية بقدر يمكن ملاحظتها ومتابعة مصدرها اللغويّ.

لقد صحّ تعبير الرسول صلى الله عليه وسلّم حين قال: "من تعلّم لغة قوم أمن مكرهم". ليس مفهوم المكر بمعنى الخداع فحسب، بل يشمل كل الحمولات التداولية والفكرانية اللغوية، كما أنه دعوة قبل قرون إلى التعددية اللغوية بالتأكيد. هذه لفتة طريفة في هذا الحديث. تحتاج إلى مزيد من التحليل...

[46] Diop, C. Anta. (2008). *Les Fondements économiques et culturels d'un État fédéral d'Afrique Noire.* Paris, Présence africaine.

[47] Ibid., p. 19

[48] https://www.cairn.info/revue-presence-africaine-2018-2-page-211.htm

مما سبق ينجلى بشكل واضح التنوع اللغويّ والثقافيّ في الشعب السنغاليّ، وأنه ليس شعبا أحاديّ اللغة، على الأقل ليس على مستوى المجتمع، وبالتالي، تجنَّبَ الحوضَ في الصراع اللغويّ الذي يؤدي إلى الدمار الشامل والعنف أو الإقصاء على مستوى البنية الاجتماعية. ولا تهيمن عند الشعب السنغاليّ فكرةُ أحادي اللغة بحكم ضرورة العناية باللغات المحلية، مُجتمعةً دون أيّ إقصاء أو عنف.

وبما أن الهوية لا تتشكّل خارج اللغة، انبرى مفكّروا السنغال؛ أمثال الشيخ أنت جوب ومن معه في مؤسسة siggil Senegal /taxaw، على الدفاع عن هذه اللغات الوطنية، لأنهم كانوا على وعي بأهميتها في التنمية البشرية والاقتصادية والثقافية والهوياتية، وذلك من خلال خطابات تكتنف هوية الشعب السنغاليّ، دفاعا لهم عن الاختراقات الاحتلالية الفرنسية، وتحقيقا للوعي اللغويّ فيهم.

تأتي فكرة التعددية اللغوية بالنسبة للسنغاليّ من خلال التنشئة الاجتماعية، التي تقوم بعمليات اجتماعية يكتسب عبرها أفرادُ المجتمع وعيًا بالأعراف ومعرفةً بطبيعة بنيته وقيمه التي تكوّنهم على تحقيق معنى لذات متعدّدة الهوية. وهذه التعددية ساهمت بشكل مباشر في تقوية أواصر المجتمع السنغاليّ على اختلاف أعراقه وإثنياته، كما توحّدوا في التصديّ عن التدخلات الأجنبية التي حاولت إحداث مشاكل لغوية من خلال سياسة لغوية استعمارية في صفوفهم بمساعدة بعض من السياسيِّين المستغرِبين.

قائمة المصادر الأجنبية:

Bouche, D.(1968). « Autrefois notre pays s'appelait la Gaule… Remarques sur l'adaptation de l'enseignement au Sénégal de 1817 à 1960 », Cahiers d'études africaines, vol. VIII, no 29, p. 110-122.

Boyer, H. (2010). « Les politiques linguistiques », Mots. Les langages du politique [En ligne], 94, mis enligne le 06 novembre 2012,consulté le 30 avril 2019. URL : http://journals.openedition.org/

Boyer, H. éd.(2004). Mots. Les langages du politique, no 74, mars, Langue(s) et nationalisme(s).

Dard, J. (1826). *Grammaire Wolofe, ou méthode pour étudier la langue des noirs qui habitent les royaumes de bourba-yolof, de walo, de damel, de bour-sine, de saloume, de baole, en sénégambie*. Paris: imprimerie royal.

Dia, Hamidou, at al. (2016/1). «État réformateurs et éducation arabo-islamique en Afrique», Afrique contemporaine, n° 257, https://www.cairn.info/revue-afrique-contemporaine- 2016-1-page-11.htm

Diop, C. Anta. (2013). Allocation de Cheikh AntaDiop à la jeunesse du Niger. *SARL NAQD*, 30, 215 à 216.

Diop, C. Anta. (2008). *Les Fondements économiques et culturels d'un État fédéral d'Afrique Noire.* Paris, Présence africaine.

Dreyfus, M, et Juillard, C. (2004). *le plurilinguisme au Sénégal: Langue et identités en devenir*. Paris: kathala.

Fall,Moussa.(2003). « Baisse du niveau des élèves en français : mythe ou réalité. Le cas du Sénégal », SudLangues, n° 3, p. 150-161.

Faty, El Hadji Abdou Aziz. (2014). « Politiques linguistiques au Sénégal au lendemain de l'Indépendance. Entre idéologie et réalisme politique », Mots. Les langages du politique [En ligne], 106 |, mis en ligne le 31 décembre 2016, consulté le 21 mai 2019. URL : http://journals.openedition.org/mots/21747; DOI :10.4000/mots.21747

Irvine, J. T. (1993). Mastering African language:The Politics of Linguistics in NineteenthCenturySenegal. Social Analysis: *The International Journal of Social and Cultural* Practice, 33, 27-46.

Rispail, Marielle, Ammari, Hadjer.(2013). *Langues et pouvoirs.* Belgique, Bruxelles, Cahiers de Linguistique, EME éditions.

Senghor, L, S, (1967), Éditions Présence Africaine, n°61, https://www.cairn.info/revue-presence-africaine-1967-1-page-94.htm

Sudonline.sn. (2013, fev 18). Actualite de la pensee de Cheikh AntaDiop Les langues nationales, véhicule du savoir. Récupérésur www.halima.com: https://bit.ly/3eT9TeV

Woehrling, J.-M., (2005), La Charte européenne des langues régionales ou minoritaires.Un commentaire analytique, Strasbourg, Conseil de l'Europe.

قائمة المصادر العربية:

الودغيري، عبد العالي. (2011). **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي**. المغرب، الرباط: جامعة محمد الخامس-أكدال.

السوداني، حسين. (2018). **"لماذا نتعلّم لغة أخرى؟". مجلة العربيّ**،العدد 716، يوليو، ص 28-32.

جميع الحقوق محفوظة 2021 ©، الباحث الشيخ مود بدر جوب، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.
(CC BY NC)

DOI: doi.org/10.52132/Ajrsp/v2.21.11